اسم الدرس : تفسير سورة الكهف (٣) | الآيات [٢٦ : ٣١]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أهلًا بكم في الحلقة الثالثة من وقفات مع سورة الكهف، بإذن الله -سبحانه وتعالى- هذا المجلس سيكون مختصرًا، ولن نستفيض فيه في قصة أصحاب الجنتين مثلما تناولنا قصة أصحاب الكهف، وسنقف بإذن الله -سبحانه وتعالى- وقفات تدبرية معينة -نسأل الله -سبحانه وتعالى- التيسير والسداد والتوفيق والإخلاص- هذا المجلس سيكون مع الآيات البينية؛ أي الآيات ما بين القصتين.

آخر ما تكلمنا عنه في المرة السابقة كانت نهاية قصة أصحاب الكهف، وقلنا أن قصة أصحاب الكهف انتهت بمجموعة من الآيات، ولا سيما مجموعة من الأوامر.

وقلنا في نهاية الدرس الماضي -المجلس الثاني- أن قصة أصحاب الكهف جاء بعدها ثلاثة أوامر:

- {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ} [الكهف:٢٧]
- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ} [الكهف:٢٨]
- {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ} [الكهف:٢٩]

وقلنا أننا نريد أن نصل إلى العلاقة ما بين خواتيم القصة وما تحتويه القصة من معاني، ليس فقط في هذه الآيات؛ وإنما أيضًا في آيات الجنة والنار، وقبل أن ندخل في الآية الختامية التي تُعتبر شبه الختام لقصة أصحاب الكهف وهي {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا}[الكهف:٢٦]، وكما قلنا أن الآيات بدأت بمعنى العلم، علم الله -سبحانه وتعالى- {لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ}[الكهف:١٢]، وانتهت بالعلم، وأن هذا مهم جدًا، وسوف نشير لهذا بإذن الله عندما نقف مع الآيات.

معان مهمة في قصة أصحاب الكهف

ولكن كانت هناك بعض الأشياء التي أود أن أشير إليها كمعنى مجمل في القصة، ربما فاتتني الإشارة إليها في المرة السابقة، شيء أشبه باستدراكات لمعانٍ مهمة في القصة.

من المعاني المهمة أن الله -سبحانه وتعالى- ذكر لنا -كما تشير الروايات- أنهم عندما اكتشفوا أصحاب الكهف عندما أرسلوا أحدهم بالورق إلى المدينة، تعجب الناس من النقود التي أتى بها؛ لأنها قديمة جدًا انتهى عهدها منذ سنوات، وألحوا عليه حتى أخبرهم بقصته وقصة أصحابه، وقادهم إلى الكهف حيث ينتظره أصحابه، هذه المجموعة من الناس التي قابلها وذهبوا معه إلى الكهف كانوا مؤمنين، فالروايات الإسرائيلية تقول أن الملك الظالم والظلم والفساد والشرك قد انتهي وحدث نوع من التغيير في قضايا هامة؛ مثل قضايا التوحيد وغيرها.

فلذلك عندما أخذهم معه وذهبوا إلى الكهف، هنا حدثت نقطتين أريد أن أتكلم عنهما؛ الروايات تقول أن المجموعة التي اكتشفت أصحاب الكهف كانوا مؤمنين، وأن الله -سبحانه وتعالى- أمات أصحاب الكهف في هذه اللحظة، بمجرد أن انكشف أمرهم أماتهم الله -سبحانه وتعالى-.

فالنقطة الأولى التي أريد أن أتكلم عنها: أنه من العجيب أن يذكر لنا الله -عز وجل- الأبطال الذين ناموا وانعزَلوا عن واقع التغيير، وليس الأبطال الذين قاموا بالتغيير، فهذا التغيير كيف حدث؟

كان هناك ملك ظالم، وكان هناك ظلم وفساد، ومن يتكلم فقط في التوحيد فمصيره مثلما قال فتية الكهف { إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ}[الكهف:٢٠]، فمن ينطق بكلمة التوحيد كان يُرجم، ثم جاء ملك موحد فكيف حدث هذا التغيير؟

لم يذكر الله -سبحانه وتعالى- لنا مَن الأبطال الذين قاموا بالتغيير، العجيب أن الله -عز وجل- ذكر البطولة في الفتية الذين آووا إلى الكهف ثم أنامهم الله -سبحانه وتعالى-، هل تتخيل هذا المعنى!

المعنى الذي أريد إيصاله هو أن **البطولة ليس شرطًا أن تكون في فعل تفعله للتغيير، مجرد قرار العزلة عن الفتنة، والقيام بقول الحق، وعدم مساندة الظالم هذه كانت بطولة**، هم لم يتلبسوا بأي ظلم مع أن الواقع كان مليئًا بالظلم، مليئًا بالفساد، مليئًا بالشرك، ولكنهم وقفوا في وجه الملك، وانعزَلوا عن هذا الواقع، وفروا منه فأكرمهم الله –سبحانه وتعالى– بهذه الكرامات؛ فذكر الله –عز وجل– قصة هؤلاء.

دائمًا عندما نحكي القصص، نبحث عن البطل الذي قام بالتغيير، وهذا مهم ولكن يوجد أبطال آخرون قد يموتون في السجون، قد يموتون في الكهوف، لا يعلم عنهم أحد شيئًا، ولكن الله –سبحانه وتعالى– يعلم، فهناك أبطال يمكن أن نسميهم الأبطال المنسيين، يُنسون في قراءة التاريخ، ويُنسون في سرد الأحداث، لكن الله –سبحانه وتعالى– يعلمهم.

من يكتب التاريخ ينظر للأحداث البارزة، والأشخاص البارزين، فيقول فلان قام بكذا، وتواصل مع الملك، وأحدث نوعًا من التغيير، لكن هناك أشخاصًا آخرين رفضوا الظلم، وعاشوا بعيدًا في الكهوف، وماتوا ولم يكن يعلم الناس عنهم شيئًا.

كما كان ابن عاشور يقول أنها حادثة متكررة في هذا الزمان؛ وهي حادثة الاضطهاد الديني؛ ليس كهفًا واحدًا فقط حدث فيه هذا، وإنما هو أمر متكرر، أن يذهب أُناس ويتعبدون في الكهوف حتى يموتون، هؤلاء لا يعلم عنهم أحد شيئًا، فذكر الله –عز وجل– لنا قصة هؤلاء.

فكان الأبطال ليسوا فقط من قاموا بالتغيير كما سيأتي معنا في النهاية مثل ذو القرنين، وإنما يمكن أن يكون من البطولة الانعزال عن الظلم، من البطولة عدم تأييد الظالم، من البطولة ألا تتلبس بالفتنة، وأن تمتنع عنها، وأن تفر منها فهذه كلها من البطولات.

لذلك من المعاني التي قُلنّاها في أول مجلس، وإن شاء الله سنُكرِرُها ثانيةً في نهاية هذا المجلس، أن كلمة "أحسن عملاً" جاءت في بداية السورة، وجاءت هنا في نهاية القصة.

إن **"أحسن عملًا"** تختلف، وكيف تقول السورة أن هناك أحسن عملًا، ولدينا أربعة نماذج مختلفة:

١. نموذج أصحاب الكهف الذين انعزلوا تمامًا.
٢. ونموذج من قام بالدعوة في واقع استضعاف.
٣. ونموذج من طلب العلم واختار السفر والرحلة في طلب العلم ومعرفة الله.

٤. ونموذج المجاهد الذي سافر إلى أقطاب الأرض وهو ذو القرنين.

فمن منهم أحسن عملًا؟

كل شخص يقوم بالعمل المناسب له، كلٌ ميسرٌ لما خُلق له؛ فالأحسن عملًا لفلان قد يكون مختلفًا عن الأحسن عملاً لفلان آخر، الأحسن عملًا في الزمن الفلاني ليس الأحسن عملًا في زمن آخر، الأحسن عملاً لمن يمتلك أدوات معينة، ليس الأحسن عملاً لمن لا يمتلك هذه الأدوات، فكل ميسر لما خلق له.

بالطبع، لا أريد أن يأتي أحدكم ويقول أنا الآن فهمت ثغري، سأذهب لأنام! فكما جعلهم الله ينامون ثلاثمائة سنة، يجعلني أنام أنا الآخر وأكون من الأبطال!

طبعًا نوم الإنسان يكف أذاه عن الناس، ويمنعه عن الجلوس بالساعات أمام وسائل التواصل الاجتماعي –والأخطاء المترتبة عليها–، ولكن ليست هذه هي البطولة، المقصد هنا أن البطولة كانت قبل النوم؛ وقفوا وامتنعوا عن التلبس بالفتنة، ثم ذهبوا بعد ذلك للكهف.

إذًا فهذا **أول معنى** أريد أن أتكلم عنه أن تصوراتنا عن البطولة تنحصر في تصور واحد فقط، تصورنا عن الأحسن عملاً هو تصور واحد فقط، وهذا ليس صحيحًا فالدين يسع أناسًا كثر، يسع تصورات كثيرة والتي من الممكن أن يقدمها الإنسان لنصرة الدين، وليس تصورًا واحدًا فقط هو الذي يفرض على الناس.

المعنى الثاني، وهذا معنى سيحتاج إلى نوع من التفصيل، لذا سأشير إليه إشارة موجزة، كنت أستمع إلى بعض القضايا الفلسفية، فكان الدكتور طيب بوعزة يتكلم ويقول: إن مما يستوقفني في قصة أصحاب الكهف، لماذا بعد أن وجدوهم وهم أهل التوحيد الذين ضحوا وتركوا أوطانهم، ومنّ الله –عز وجل– عليهم بالكرامات، لماذا لم يعودوا ويصلحوا البلاد؟ لماذا في معظم الروايات أن أماتهم الله – سبحانه وتعالى–؟

وحتى الآيات تثبت ذلك، أن الله -سبحانه وتعالى- أماتهم، ثم اختلفوا ماذا سيفعلون في مكان موتهم؛ هل يبنون عليه قبرًا، أم يتخذونه مسجدًا؟ وتكلمنا في هذه الآيات المرة السابقة، فكان يتساءل ويقول: لماذا أماتهم الله -سبحانه وتعالى-؟

وأشار إلى بعض المعاني منها أنه بإمكاننا القول أن لكل زمان مُصلحوه؛ بمعنى أننا لدينا نوع من الثوابت ونوع من المتغيرات، لدينا نصوص ثابتة، وقضايا ثابتة، ولكن التفاعل مع هذه النصوص لاستخراج وسائل لإصلاح الواقع تحتاج إلى إنسان من ابن الواقع، يلمس القضايا، ويعرف المشاكل، ويشتبك مع هذا الواقع، فيستطيع أن يقدم حلولًا ولا يقدم نظريات فقط.

فالمُصلح من المهم جدًا أنه كلما يأتي جيل، أن يتعلم الجيل القديم بكل أريحية أن يُسلمه الراية بعد أن يعلمه ويُفقهه ويبصره، لابد أن يسلم الراية للجيل الجديد؛ لأن الجيل الجديد هو أبصر بالمشاكل، بالواقع، الجيل القديم أنضج وأكثر حكمة لكنه لا يعايش الواقع.

وأضرب مثالًا مع الفارق الرهيب في التشبيه، عندما قال سيدنا موسى عليه السلام للنبي -صلى الله عليه وسلم-: إني عالجت بني إسرائيل قبلك، وقال للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يرجع ويطلب من ربه -سبحانه وتعالى- التخفيف في الصلاة.

فسيدنا موسى عليه السلام لديه تصورات بخبرته، لكن من ينزل لحل مشاكل الواقع هو النبي -صلى الله عليه وسلم-، فبالتالي **المعنى الذي أريد إيصاله هنا هو أننا لدينا ثوابت في الدين لا تتغير، من بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى قيام الساعة، هذه من الثوابت، قضايا التوحيد، وقضايا الإيمان، وقضايا العبادات، كلها عندنا ثوابت، وعندنا أيضًا وسائل تستنبط وتستخرج من النص لإصلاح هذا الواقع.**

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبارك في أعمارنا، وأن يستعملنا في طاعته، تخيل مثلاً أن الله -سبحانه وتعالى- استعملنا الآن، وأبقى لنا مثل هذه المجالس لنتدبر القرآن، ثم يأتي أحدهم بعد مثلًا أربعين سنة ويسمع مجالس القرآن هذه، أنا أتكلم عن واقعي، أعيش فيه قضايا معينة، فعندما أتفاعل مع النص أُخرج معاني معينة مناسبة لواقعي هذا، ومن الصعب أن تنزلها كما هي على الواقع الذي سيأتي بعد أربعين سنة.

كما نقرأ لمفسر مثلًا حاول أن يتفاعل مع الواقع من أربعين أو خمسين أو ستين سنة، هو قد استخرج معاني كانت مناسبة لواقعه، وكان من يسمعه وقتها يتعايش مع هذه المعاني، فلذلك **لكل زمان مُصلحوه**.

- فمن رحمة الله -سبحانه وتعالى- أن أماتهم لأنهم لو عادوا للتغيير والإصلاح فسيعودون بعقلية واقع انتهى منذ سنوات، لابد للمصلح أن يتعرف على الواقع، ويعرف تفاصيله، ومتغيراته، والوسائل الحديثة المستعملة فيه، فكأن من رحمة الله -عز وجل- بهم أن أماتهم، وسلسلة التغيير ستستمر هكذا إلى قيام الساعة.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يستعملنا، وهذا يمكن أن يكون من المعاني التي أشار إليها النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن كل مائة عام يبعث الله من يجدد لهذه الأمة أمر دينها[1]، وهم قد ناموا ثلاثمائة سنة وليس مائة فقط! فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول أن كل مائة سنة تحدث تغيرات، واندثار للدين، وتراكمات للتقاليد والعادات، فيحتاج الأمر لمن يأتي لينفض الغبار عن النصوص، ويعيد التفاعل مع هذه النصوص، ويقدمها للناس بصورة جديدة مرة أخرى.

هذان هما المعنيان اللذان أحببت أن أستدرك بهما على الدرس الماضي:

- مسألة أن البطولة ليست دائمًا في من يقوم بفعل التغيير، بل قد يكون بطولته أن ينعزل عن واقع الفتنة، عندنا نماذج من{أَحسَنَ عَمَلًا} أصحاب الكهف وعندنا ذو القرنيين.
- والمعنى الثاني أن لكل زمان مصلحوه.

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۖ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

١ [عن أبي هريرة:] إنَّ اللهَ تعالى يَبعثُ لهذِهِ الأُمَّةِ على رأسِ كلِّ مِائةِ سنةٍ مَنْ يُجدِّدُ لها دِينَها
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ١٨٧٤ • صحيح •

استحضار المعاني التي تعطي القوة

ختمت القصة بقول الله –سبحانه وتعالى–: {قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا}[الكهف:٢٦]... وهناك قراءة: {ولا تشرك في حكمه أحدا} –أنا أشرت لهذه الآية سريعا المرة الماضية، ولكن كنا أطلنا، فسأعيد بسرعة وقفة سريعة معها.

أن تختم الآية بهذا الكلام العظيم عن علم الله، وقلنا –وهذا معنى عميق جدًا في القصة– أن الله –سبحانه وتعالى– يعلم تفاصيل الأحداث.

السائر في الطريق إلى الله يمر بتفاصيل ويمر بهموم ويمر بمشاكل ويمر بقضايا قد لا يعلم عنه أحد شيئًا، لكن **الله –سبحانه وتعالى– عليم بما يمر به، عليم بتفاصيل الأحداث**؛ كما ذكرنا المرة الماضية قول الله –سبحانه وتعالى–: {وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا}[الأنعام:٥٩] فتخيل ختام الآية {ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ} المدة والكيفية والأحداث والزمان والمكان {ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ}.

فهذه معانٍ قد تُنسى أثناء الطريق، أثناء الطريق هناك مشاكل وهموم وابتلاءات وأحداث، فقد يصاب الإنسان بفقدان الاتصال بالله، حتى يصل به الحال أن يصارع الابتلاءات الدينية كما يصارع أهل الدنيا ابتلاءاتهم الدنيوية! لا بل أنت {وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ}[النساء:١٠٤].

مهم جدًا استحضار الاتصال الغيبي بالله –سبحانه وتعالى–، أول ما يفقد الإنسان هذا الاتصال –وهذا يتجلى في قيام الليل– حين يفقد الإنسان الاتصال الغيبي في الصلاة –في قيام الليل– **حين يفقد هذا الاتصال بعالم الغيب، يضعف؛ لأن هذا هو سر قوة الإنسان أصلًا، هو يستمد القوة من المعاني الحق المبثوثة في الوحي، من اتصاله بعالم الغيب.**

الإنسان حينما يتصل بعالم الغيب فيجد: {وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ} ويجد: (ما من موضع أربع أصابع إلا فيها ملك ساجد وقائم)[٢] فيرى أن أهل الباطل قلة –شرذمة قليلون. فمن هم أصلًا أهل

٢ [عن أبي ذر الغفاري:] إنِّي أرى ما لا ترونَ، وأسمعُ ما لا تسمَعونَ أطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَها أن تَئطَّ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلَّا وملَكٌ واضعٌ جبهتَهُ للَّهِ ساجدًا، واللَّهِ لو تعلَمونَ ما أعلمُ لضَحِكْتُم قليلاً ولبَكَيْتُم كثيرًا، وما تلذَّذتُم بالنِّساءِ على الفُرُشِ ولخرجتُم إلى الصُّعداتِ تجأرونَ إلى اللَّهِ، لوَدِدْتُ أنِّي كنتُ شجرةً تُعضَدُ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي ٢٣١٢ • حسن دون قوله: "والله لوددت ..." •

الباطل في العالم؟ في الكون، والمجرات، والكواكب، والشموس.. عالم عظيم، فمن يكون أهل الباطل أصلًا؟ فيزداد الإنسان قوة ويكون عنده انطلاقة.

لذلك الآية التي جاءت بعد القصة {وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ} وهذا من إعجاز القرآن وتكلمت عنه من قبل في درس "مميزات الخطاب القرآني" عن **متى يأتي الأمر القرآني بعد التهيئة** وكنت ضربت أظن مثالًا بسورة غافر وشرحتها في سورة غافر عن متى تأتي الآية بعدما يُهيأ القلب.

{وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ} القوة النفسية التي تجعل الإنسان يقول الحق من ربكم بعدما رأى آيات وحصل تهيئة للقلب فتدفعه دفعًا لهذا القول، فينبغي دائمًا أن ندرك أن هناك معان قد تُنسى أثناء السير في الطريق إلى الله -سبحانه وتعالى- لابد أن يستحضرها الإنسان دائمًا.

{ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} له وحده -سبحانه وتعالى- غيب السماوات والأرض، هناك غيب في السماوات وهناك غيب في الأرض لا يعلمه إلا الله -سبحانه وتعالى-، هناك أحداث تحدث في الأرض لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-.

الإبصار بالوحي

بعد ذلك يأتي أسلوب تعجب {أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ}. المعنى الأشهر وهذا الذي عليه غالب المفسرين وذكره -ولم يذكر غيره- الإمام الطبري قال: {أَبۡصِرۡ بِهِۦ} أي ما أبصره -سبحانه وتعالى- ليس أحد أبصر منه -سبحانه وتعالى-، وما أسمعه ليس أحد يسمع مثله -سبحانه وتعالى-.

{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}[الشورى:١١] فالله -سبحانه وتعالى- يبصر كل شيء ويسمع كل شيء: تفاصيل وتفاصيل وتفاصيل وأحداث يعلمها الله -سبحانه وتعالى-.

هناك قول آخر ذكره -أظن أن أول من ذكره فيما رأيت ابن عطية وتناقله بعد ذلك -كعادتهم- من يأخذ من ابن عطية: القرطبي وأبو حيان وغيرهم -وهم كعادتهم يأخذون من ابن عطية، بل حتى أحيانًا دون أن ينسبوا ذلك إليه- قال {أَبۡصِرۡ بِهِۦ} أي بالوحي {وَأَسۡمِعۡ} به أي العالم.

أي أنك تحتاج تُبصر بالوحي فما الدافع لهذا؟ هل هناك دافع معين عقدي -الله أعلم-، لكن هنا الآية التي تليها مباشرة {وَٱتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ} فهنا يوجد معنى أنك لا تنظر إلى القصص التاريخي المغرِق في عالم الغيب إلا من خلال الوحي لأن هناك تفاصيل لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-، وذكرت هذا في المجلس الماضي {لِنَعلَمَ أَيُّ ٱلحِزبَينِ أَحصَىٰ} ذكرت كلام ابن عاشور أنه هناك أحداث تاريخية تاهت لا يعلمها إلا الله -سبحانه وتعالى-، **لذا فلابد أن تبصر هذه الأحداث بمعيار الوحي**.

من هو الولي؟

{أَبصِر بِهِۦ وَأَسمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّ} ما معنى {مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ}؟ انتبه إلى كيف تثبت الآيات ثم تنفي عنك أي شيء، مثل: لا إله إلا الله: أي تثبت أن الله -سبحانه وتعالى- عليم بكل شيء وأن الله بصير بكل شيء وأن الله سميع بكل شيء، فربما يتخيل أحد أنه من الممكن أن يلجأ إلى من يفعل مثل ذلك، ولكنك لن تجد مثل الله -سبحانه وتعالى-، فيقول الله -سبحانه وتعالى- {مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦمن ولي}

فما معنى الولي؟ يقال أنه من معاني الولي القرب؛ يليني أي القريب منك، فالولي أي القريب الذي يعلم ما تحتاجه، فالولي أي الذي يتولى أمورك عن قرب، ويعلم تفاصيل ما تحتاج إليه.

ولكن ما معنى {مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّ}؟ العلماء هنا ذكروا أكثر من قول؛ هناك ثلاثة أو أربعة أقوال:

أولًا، {مَا لَهُم} على من يعود الضمير هم؟ دائمًا في التفسير فك الضمائر يساعدنا على معرفة المعنى، فحينما تحب أن تفسر أو تفقه معنى آية، تحتاج أن تفك الضمائر وترجعها إلى الاسم الظاهر المتعلق بها.

- **القول الأول**: {مَا لَهُم} أي ما لأصحاب الكهف من ولي إلا الله -سبحانه وتعالى-، ليس لهم أحد في هذا الوقت غير ربنا، بمعنى أن الآية تقول أنه لولا أن الله عليم بكل شيء، والله سميع بكل شيء، والله بصير بكل شيء كانوا ضاعوا.

من رحمة الله بنا -سبحانه وتعالى- أنه ربنا، لذلك يا جماعة نحن ماذا نقول؟ نقول {ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ} الحمد لله أن لنا ربًا، وإلا كنا ضعنا.

سيدنا إبراهيم لما رأى القمر والشمس يأفلان {قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}[الأنعام:٧٦] أي أنا أحتاج إلى إله يتولى أمري ولا يتركني، فلذلك {مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىّ} أي ما لأصحاب الكهف من دون الله من ولي.

من الذي سيتولى أمورهم وهم في الكهف؟ من الذي تولى أمورهم {ثَلَٰثَ مِاْئَة سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسعًا}؟ من الذي تولى أمورهم؟ ومن الذي منع السباع من أن تأكل لحومهم؟ أو يأتي ظالم ويفتش في الكهف ويعثر عليهم؟ من الذي منع كل هذه الأمور وهم نائمون؟

كما يقول الله للنبي -صلى الله عليه وسلم-: {كَلَّا لَا تُطِعهُ وَٱسجُد وَٱقتَرِب ۩}[العلق:١٩]، من الذي سيصرف عنك الأذى وأنت ساجد في وضعٍ لا تستطيع حتى أن ترى فيه عدوك؟ فالله -سبحانه وتعالى- هو من سيفعل {كَلَّا لَا تُطِعهُ وَٱسجُد وَٱقتَرِب ۩}، فهنا أيضًا من الذي حفظكم وأنتم نائمون؟ فالذي حفظ أصحاب الكهف في كهفهم وفي نومهم قادر على أن يحفظكم أيها المسلمون.

إذًا القول الأول {مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىّ} أي من الذي سيتولى كفايتهم -أي أصحاب الكهف.

- **القول الثاني**: قيل {مَا لَهُم} أي ما للخلق جميعًا، ليس فقط ما لأصحاب الكهف، لا بل الله لم يتولى أصحاب الكهف فقط، بل -سبحانه وتعالى- قائم على كل نفس، -سبحانه و تعالى- هو {ٱلحَىُّ ٱلقَيُّومُ لَا تَأخُذُهُۥ سِنَة وَلَا نَوم}[البقرة:٢٥٥].
- **القول الثالث**: قيل {مَا لَهُم} أي ما لأهل الكتاب من ولي إذا أعرضوا عن كتاب الله -سبحانه وتعالى- وأصروا على التمسك بكتابهم، من الذي سيمنع عنهم عذاب الله إن أصر أهل الكتاب على التمسك بما في كتابهم من تحريف وتبديل وأعرضوا عن كتاب الله؟ من الذي سيتولى الدفاع عنكم؟

الملك والحكم لله تعالى وحده

{مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىّ وَلَا يُشرِكُ فِى حُكمِهِۦٓ أَحَدًا} -سبحانه وتعالى-، قيل {فِى حُكمِهِۦٓ} أي في قضائه، يفعل ما يشاء، إذا أراد أن يحفظ هؤلاء أو أن يسلط هؤلاء على هؤلاء؛ الكون كونه هو، والملك ملكه هو، يفعل فيه ما يشاء.

هذه من العقائد التي يرسخها القرآن فينا **الملك ملكه –سبحانه وتعالى– لا إله إلا هو** {وَلَا يُشرِكُ فِي حُكمِهِۦٓ}،

- وقيل –في قراءة أخرى– {ولا تشرك في حكمه} أي لا تظن أن هناك من يقوم بذلك
- أو {لا تشرك في حكمه} قيل لا تسأل غيره الحكم، الحكم هنا يمكن أن يكون في القضاء القدري أو الأمر الشرعي لا تسأل غيره، فيكون المعنى أيضًا **لا ترجع إلا إلى الوحي**.

قال الإمام الطبري: أي وهو المتفرد بالحكم –سبحانه وتعالى–، وقيل أيضًا: ومن انفراده بالحكم علمه بالغيب –سبحانه وتعالى– فلا تسأل إلا هو.

إذًا فختام القصة مليء ومفعم بكلام عن **علم وقدرة الله، وبصر الله، وسمع الله –سبحانه وتعالى–، آية تجعل الإنسان يطمئن ولا يخاف وهو سائر في الطريق إلى الله –سبحانه وتعالى–.**

ثم تأتي الثلاث أوامر:

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

توحيد مصدر التلقي: الوحي

{وَٱتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ}

{وَٱتلُ} إما بمعنى :

- التلاوة، أي تقرأ الأمر بالقراءة،
- وإما بمعنى الاتباع –وهذا ما ذكره الإمام الطبري، {وَٱلقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا}[الشمس:٢] أي إذا تبعها، فتلى الشيء أي تبعه {وَٱتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ} أي اتبع، وليس مجرد القراءة فليس المقصد من الوحي هو مجرد القراءة، ولكن الاتباع.

{ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ} الفكرة هنا -نريد أن نركز في هذه الآيات كثيرًا- أن الله -سبحانه وتعالى- ذكرَ قصة غيبية، هذه القصة اختلف فيها الناس، وظهرت حولها أساطير ونقاشات وخلافات وغير ذلك، فذهبوا يسألون النبي -صلى الله عليه وسلم- عن هذه القصة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: سأخبركم، ولم يقل إن شاء الله، فعاتبه الله -عز وجل- بتأخر الرد، ثم أخبره بالقصة.

فكأن الله -عز وجل- يقول في آخر القصة لا تنشغل بغير الوحي، اتل هذا الوحي ولا تنشغل بالقصص من هؤلاء ولا من هؤلاء، معك النور، معك المصدر الحقيقي لهذه الأحداث، اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ولا تنشغل بغيره.

وهذا ما نسميه **توحيد مصدر التلقي**، إن مصدر التلقي بالنسبة للمسلمين هو القرآن الكريم، فعندما نقول توحيد مصدر التلقى ليس معنى ذلك ألا نقرأ كتبًا أخرى أو روايات أو حتى الكتب التي فيها آفاقًا وأفكارًا واسعة، ليس هذا هو المقصد، إنما المقصد هو ما هو المركز؟ ما هو الكتاب المهيمن؟

إذا كان الله قد قال لنا أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة التي أنزلها الله، فالقرآن مهيمن على الكتب السابقة التي أنزلها الله -عز وجل-؛ أفلا يهيمن على الكتب التي كتبها البشر؟

المقصود أننا نعرض المعارف التي نستقيها من البشر على الوحي، فإن خالفتها أعرضنا عنها، وإن وافقتها أخذنا بها، وهناك قسم يسمى المسكوت عنه -وهذا تحدثت عنه كثيرًا- أي أن هناك معارف سكت عنها الوحي، ولم يعارضها الوحي، إذًا فلنأخدها.

فلابد للإنسان أن ينكب على كتاب الله -سبحانه وتعالى-، لأن هذا هو المصدر الأساسي لمعرفة الإنسان ورؤية الإنسان لعالمه تكون من خلال القرآن، فَطريقة عرض القرآن للقَصص تختلف عن أي كتاب بشري. -

وهذا فصلت فيه في مقدمة سورة يوسف-، فمن يقرأ سورة يوسف حتى في التوراة يلمس هذا الاختلاف، كنت في مقدمة سورة يوسف ذكرت أن الدكتور سامي عامري عقد مقارنة أظن أنها تتكون من ستة وأربعين وجهًا ما بين طريقة التوراة في سرد قصة يوسف، وطريقة القرآن؛ فإن طريقة القرآن مختلفة في إخبارنا بقصص الغيب، ما حدث في الأرض ولم نشهده، يتفرد القرآن بالأحداث التي يركز عليها، وطريقة عرض المعاني، فكأنه يدفعها بداخلك، ويبثها داخلك أثناء سرد هذه القصص.

{وَٱتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ}

إذًا من المعاني الأساسية لو تتذكرون أننا ذكرنا في الدرس السابق اختلاف أصحاب الكهف والرقيم، وقلنا أن الرقيم فيها خلاف، ما هو الرقيم؟

من الأقوال التي ذكرها الإمام الندوي ومال إليها وذكرها ابن عاشور: أنه كان كتابًا، وأن الرقيم بمعنى مرقوم، واختلفوا في محتوى هذا الكتاب، هل يحتوي أسماءهم، أم قصتهم، أم هو كتاب كانوا يتعبدون بتلاوته، فيه بقايا من آثار الرسل، وكما ذكرت فأنا لا أستطيع الترجيح، ولكنني فقط أميل إلى القول بأنه كتاب.

الصحبة الصالحة

فَالختام بدأ بالوحي: { وَٱتلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيكَ } { وَاصبِرۡ نَفۡسَكَ }، أنت تحتاج إلى الوحي مع صحبة مؤمنة حتى تستطيع أن تواجه العالم، وتقول لكل العالم: { ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَاءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَاءَ فَلۡيَكۡفُر}، حتى تكتسب هذه القوة، وهذه الإنطلاقة النفسية، فأنت تحتاج إلى هاتين: بيئة مؤمنة صالحة، ووحي تَتدارسه.

(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله)[٣] عندما يمن الله -عز وجل- على الإنسان بالإقبال على وحي الله -سبحانه وتعالى-، ومدارسة هذا الكتاب مع صحبة صالحة، فهو يكتسب قوة؛ لأن هذا الوحي هو النور والسكينة والرحمة، (يذكرهم الله فيمن عنده) فيتكلم بثقة، فعندما يقول الحق من ربكم، يقولها بكل ثقة.

٣ [عن أبي هريرة:] مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، وَمَن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيا والآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، واللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ، وَيَتَدارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ. غيرَ أنَّ حَدِيثَ أَبِي أُسامَةَ ليسَ فيه ذِكْرُ التَّيْسِيرِ على المُعْسِرِ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٩٩ • [صحيح]

{ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } من الأشياء التي تجعل الإنسان يخاف أن يضيع عمره في كتاب، أو يقتنع بأفكار كتاب ما، أنه يقول ربما كان هذا الكتاب خاطئًا، ربما أضيفت أشياء للنسخة المعدلة التي صدرت مؤخرًا، ربما ينتقده أحد، ربما يرد عليه أحد، ولكن الله -عز وجل- يقول: { لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ }، فمن الأشياء التي تجعل الإنسان يخاف أن يقتنع بفكرة من كونها قد تكون خطأ، أو يضيع عمره فيها، طمأنه الله -عز وجل- أن الوحي ليس كذلك.

لذا فكلمة "أضيع عمري" أشار إليها القرآن هنا في هذه الآية، لأن أصحاب الكهف هؤلاء ضحوا بعمرهم، تركوا كل شيء، فهم شباب تركوا المال والزينة، تركوا كل هذا، قد يأتي أحدهم ويقول لك: لقد ضيعت عمرك، فالقرآن رد على هذه الفكرة الشيطانية الخبيثة التي تأتي للإنسان في الطريق إلى الله، أنت ضيعت عمرك، لماذا فعلت هذا؟ فمن الأشياء التي تُكسب الإنسان ثقة { لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ }.

المؤمن واثق، يضع كل ما يملك في طريق الله، أما المنافق فلا يستطيع أن يضع كل إمكانياته، المنافق يخاف، عندما يركب في سفينة الإيمان يكون لسان حاله { قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ }[التوبة:٥٠]، يخاف أن يضع كل حياته لنصرة هذا الدين.

{ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } :

- قيل: أي لا مغير لما وعد الله -سبحانه وتعالى-،

الله -عز وجل- وعد المؤمنين بشيء ووعد الكافرين بشيء، فعندما يأتي يوم القيامة لن يُصدم المؤمنون، لكن سيُصدم الكفار، وسيقول المؤمنون حينها {قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا }[الأعراف:٤٤]،

فمن معاني لا مبدل لكلماته: في الدنيا وفي الأخرة،

وكلماته هي الكلمات الشرعية: أن ما تقتنع به وتتدين به من المعاني الشرعية لن يتبدل،

و{لا مبدل لكلماته} القدرية: أن الله قدر أمورًا لن تتغير، فتكون مطمئنًا فتعلم (أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)[٤]، (رُفعت الأقلام وجفت الصحف)[٥].

٤ [عن ابن الديلمي:] أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ فقُلْتُ له: وقَع في نفسي شيءٌ مِن القدَرِ فحدِّثْني بشيءٍ لعلَّه أنْ يذهَبَ مِن قلبي فقال: إنَّ اللهَ لو عذَّب أهلَ سَمواتِه وأهلَ أرضِه عذَّبهم غيرَ ظالِمٍ لهم ولو رحِمهم كانت رحمتُه خيرًا لهم مِن أعمالِهم ولو أنفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ في سبيلِ اللهِ ما قبِلَه اللهُ منكَ حتّى تُؤمِنَ بالقدَرِ وتعلَمَ [أنَّ] ما أصابَكَ لَمْ يكُنْ لِيُخطِئَكَ وأنَّ ما أخطأَكَ لَمْ يكُنْ لِيُصيبَكَ ولو مِتَّ على غيرِ هذا لَدخَلْتَ النّارَ قال: ثمَّ أتَيْتُ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ فقال مِثْلَ قولِه ثمَّ أتَيْتُ حُذَيفةَ بنَ اليَمانِ فقال مِثْلَ قولِه ثمَّ أتَيْتُ زيدَ بنَ ثابتٍ فحدَّثني عنِ النَّبيِّ ﷺ مِثْلَ ذلكَ

ف{ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } تجعلك تطمئن على مستوى التدين بهذا الدين، وعلى مستوى الأقدار، فعلى المستوى الشرعي أنت مطمئن وعلى مستوى الأقدار أنت مطمئن.

- وقيل أن { لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } أي -لو أن الكلام مستمر على أصحاب الكهف- لن تجد أو تخرج آثارًا أو كتبًا ولا دراسات تقول أن القرآن على خطأ، {فقل الحق من ربكم}، قل القصة بكل ثقة، اتلوها على الناس، مع العلم طبعًا أن هناك دراسات طعنت في القصة، ولكن تمر الأزمان ويكتشفون أنهم على خطأ، ومن أشار لهذا المعنى هو الإمام الندوي في كتاب "الصراع بين الإيمان والمادية تأملات في سورة الكهف" الذي جمع في كتابه للدراسات القرآنية، فيقول أن كل محاولات الطعن في طريقة عرض القرآن باءت بالفشل.

من دونه ملتحدا: تهديد وتحفيز

{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا}

ما معنى لن تجد من دونه ملتحدًا؟

وما معنى من دونه؟ الهاء فيها قولين؛

- إما **القرآن**: لن تجد من دون القرآن ملتحدًا، فالآن مثلاً عندما نريد تفسير آية نأتي للكلمات الغريبة ونعرف معناها، نأتي للضمائر ونفكها ونرجعها لاسم ظاهر، ونفهم تركيب الجملة مع بعضها، هذا فاعل وهذا مفعول، عندها ستفهم الآية؛ مثلما يكلمك أحد فأنت تفهم الكلام لأنه ليس فيه مفردات غريبة، تفهم تركيب الكلام مع بعضه.
- وما معنى { وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا }؟ نأخذ القول الذي ذكره الإمام الطبري قال: اتل أي اتبع، {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ} أي اتبع ما في هذا الكتاب، وقدر هنا محذوف، فالإمام الطبري قال فإن أعرضت عن الوحي فلن تجد من دون الله ملجأ يصرف عنك عذاب الله.

قال: ثمَّ أتيت عبدالله بن مسعودٍ فقال مثل قوله ثمَّ أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل قوله ثمَّ أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النَّبيّ ﷺ مثل ذلك/ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٧٢٧ • أخرجه في صحيحه

٥ [عن عبدالله بن عباس:] كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا قال يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، (رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفَ)
الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٥١٦ • صحيح •

فإذًا يا جماعة الداعية إلى الله –سبحانه وتعالى– لو فكر –نحن لا نتكلم عن الكافر الذي أعرض عن القرآن فقط بل حتى الداعية– عندما يُعرض عن الوحي ويأتي بمناهج إصلاحية بديلة سيعاقبه الله –سبحانه وتعالى–، وأمثال هذا كثير في القرآن، الآيات جاءت للنبي –صلى الله عليه وسلم– وثبته الله وهو أخشى الناس وأتقى الناس لله –سبحانه وتعالى–، فهذه الآيات نستفيد منها كتحذير { بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ } [المائدة:٦٧].

فإن أعرضت عن الوحي فلن يمنع عنك عذاب الله أحد أبدًا.

لن تجد تأتي بمعنى أنك ستظل تبحث ولن تجد.

ملتحدًا: اللحد هو المكان المائل الذي تختبئ فيه أي تلتجئ إليه؛ لذلك قالوا ملتحدًا بمعنى ملجأ، وليست فقط بمعنى ملجأ؛ لأن ملتحدًا مأخوذة من اللحد، وملتحدًا على وزن مفتعل، ففيها تكلف؛ **فمهما تكلفت حماية تحميك ولو أهل الأرض اجتمعوا على أن يحموك بعيدًا عن الله –سبحانه وتعالى– لن يستطيعوا، فلن تجد من دون الله ملتحدًا**، فهذا اختيار الطبري.

- وقيل لن تجد من دونه: أي **الوحي** بمعنى أنك لو فكرت –انتبهوا أننا هنا نتكلم في سياق قصة حدثت في أحداث زمان مضى ولا أحد يعرف تفاصيلها وهناك خلافات تاريخية– ولو حاولت أن تصل لهذه القصة بعيدًا عن الوحي أو أفكار معاني الوجود، وعندما ينظر الواحد منا إلى قصة الفلسفة وكم تاه هؤلاء الناس، وكلما يأتي أحد ينقض الذي قبله وعالم من التخبط والزيغ. فالقرآن يقول لك: وفر عمرك {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ} هناك أشياء غيبية ليس لها مصدر إلا الوحي، فلا تحاول، ستضيِّع عمرك هباءً، كتعبير المهندس أيمن عبد الرحيم عندما يقول أن من رحمة الله –عز وجل– أنه يوفر لك عمرك في الوحي، يوفر عليك أن تُتعب نفسك، فيقول لك الله أن هناك قضايا لو حاولت أن تبحث عنها خارج الوحي لن تجد ملجأ، ولو ظللت تبحث فلن تجد شيئًا، ولو عصرت الأفكار وبحثت وقرأت في التاريخ وجالست عباقرة وأذكياء لن يصلوا لشيء؛ لأن هذا الشيء فوق طاقة البشر، فهناك منطقة معينة لن تصل إليها بدون الوحي، هناك منطقة تستطيع أن تصل إليها بالتجربة والخطأ، لكن هناك منطقة معينة تحتاج فيها للوحي، فيقول الله لك –لو أخذنا بهذا القول– لن تجد من دونه أي **من دون القرآن**.

في هذا السياق، هناك مقال أحبه وهو مقال "تطويل الطريق" لإبراهيم السكران يقول: لا تضيع عمرك في أشياء لن تجدي، فلو ظللت تناقش أهل الكتاب ويأتوا لك بآثار ودراسات تاريخية، وتتناقش في أصحاب الكهف فلن تصل لشيء.

فالقرآن أنهى لك الأمر، وذكر لك الأحداث المهمة التي حصلت مع أصحاب الكهف، وكأنه يقول لك: هذه هي المعاني التي تخرج بها، هذه هي المعلومات المهمة، وما دون ذلك ضياع للأعمار، وستظل تتناقش وفي النهاية كله مِراء لن تصل من ورائه لشيء، ولن نستفيد شيئًا من الخوض في نقاشات وقضايا غيبية، هناك قضايا كلامية عندما يقرأها الإنسان يقسو قلبه، فليست هذه هي الطريقة القرآنية لإثبات التوحيد.

الطريقة الكلامية طريقة مُعنتة ليست هي طريقة القرآن، الطريقة الواضحة التي تصل للقلب {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[الملك:١٤]،

فالخلاصة لا تضيع عمرك فمن معاني هذه الآية {واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل} لن القاطعة {ولن تجد من دونه} إذا قلنا من دون الله كأنها تهديد، ولو قلنا من دون الوحي فكأنها تحفيز على الإقبال على الوحي فإنك لن تجد من دونه {ملتحدًا}.

فللأسف هناك ناس ضيعوا أعمارهم وضيعوا أفكارهم وضعوا جهدهم بعيدًا عن الوحي، عندما يقرأ الواحد منا لهؤلاء، يشفق عليهم، هذه الطاقة الذهنية إذا وضعت في استنباط معاني الوحي وتطبيق معاني الوحي في الواقع، كانت ستخرج دررًا، وكثير من المصلحين كانوا في آخر حياتهم يندمون أنهم لم يقضوا حياتهم مع كتاب الله -سبحانه تعالى-، فلا تزاحم كتاب الله -سبحانه وتعالى- بغيره في هذه القضايا التي خص بها الوحي.

متى تترك الصحبة

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}.

حسنًا، هذا هو المنهج هذا هو النور هذا هو الكتاب، ولكن بخصوص الأشخاص أو التطبيق العملي؟ {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} انتبه أننا عندما نسقط، كما قلنا أن هذه من خواتيم أصحاب الكهف، إذًا فأنت تريد أن تنجو من الفتن، فمثلًا إذا قلنا أين كهفك؟ كهفك الذي تلجأ إليه هو الوحي مع الصحبة الصالحة، **كهف النجاة من الفتن هو الوحي مع الصحبة الصالحة**، تجعلك تقول {الحق من ربكم} بدون خوف.

إذًا فهذا هو الكهف الذي تحتاج أن تلجأ إليه {ولن تجد من دونه ملتحدًا واصبر نفسك} كما صبر أصحاب الكهف أنفسهم مع بعضهم البعض {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}.

أنا آسف أنني أطلت عليكم لأن الآيات البينية فيها فوائد تربوية مهمة.

{واصبر نفسك} هذه الآيات يقال أن لها نفس سبب نزول آيات الأنعام {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}[الأنعام:٥٢] ولكن قالوا أن هنا الأمر آكد أي أشد توكيدًا، لماذا؟ هناك مجرد لا تطرد لا تطردهم، هنا ليس فقط لا تطردهم!بل واجلس معهم، بمعنى أن هناك {لا تطرد} ولكن هنا {واصبر نفسك}.

حسنًا، الصبر أصلًا من معانيه ربط الشيء في المكان حتى يثبت حتى لا يتحرك، الدابة المصبورة أي المربوطة أنت تريد أن تضرب عليها سهمًا فتربطها، فكأنك تجاهد نفسك، فكأن نفسك تميل إلى ترك هذه البيئة، المغريات كثيرة للخروج خارج هذا الكهف المغريات الدنيوية {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا}[الجمعة:١١] المغريات كثيرة التي تمر أمام هذا الكهف، أنت تحتاج أن تصبر نفسك، مع من؟

ربنا لم يذكر أشخاصًا بعينهم بل ذكر أوصافًا، فنحن لا نتعبد بأشخاص بعينهم أو جماعة بعينها أو بحزب بعينه أو بشيخ بعينه لأن هذا قد يفتن وقد يتقلب لأن أيضًا هذه الآية ...، أريد دائمًا يا جماعة أن لو اكتسب الواحد منا نوعًا من التفكير المتوازن المنطقي سيقدر على حل أزمات كثيرة تقابله في الحياة لأن دائمًا الحياة ليست ثنائية.

قد يقول لك أحدهم { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } الآية **تفيد أنه مهما حدث لا تتركهم، نعم مهما حدث من الابتلاءات الدنيوية ليس مهما حدث من أنهم فتنوا وبدلوا وغيروا، لا بل تتركهم**، فمثلًا من الأسئلة التي قد تأتي، سألني أحدهم أن هناك أخت ومعلمة وتشعر أن دينها يقل ودينها يفسد ومصممة تكمل مع الصحبة الصالحة، لا ربنا وضع لها معيارًا.

كانت من الأسئلة الجميلة جدًا التي سُئل عنها إبراهيم السكران –فرج الله عنه– أن هناك اختلافات بين الناس نسمع كلام من؟ فمن **أحد الأوجه التي تعرف تختار بينها أثر هذا عليك في دينك**، فهنا ربنا

يقول لك مع الذي أتى بأعمال، أعمال المرتبطين بالوحي { يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } هؤلاء يؤثرون على دينك، يجعلونك تتجه إلى الله وليس إلى قبر وليس إلى جماعة ولكن إلى الله.

أنت قلبك يتعلق بالله –سبحانه وتعالى– أنك ستقف بين يدي الله –سبحانه وتعالى– فردًا، وفي نفس الوقت تحتاج مجموعة فأنت تحتاج تتوازن المجموعة هذه ستبعدك عن دينك لا؛ لذلك أنا ألقيت درسًا قبل هذا بعنوان "حتى لو لوحدك"، وفي نفس الوقت أنت تحتاج بيئة صالحة فيقول لك أنت حيرتني هل أبحث عن بيئة صالحة أم أجلس وحيدًا!

لا فالأصل أنك تحتاج إلى صحبة صالحة، هذه الصحبة وارد أنها قد تكون بدأت تفسد بدأت تتبدل بدأت تنحرف بدأت تتغير أنت هنا ليس.... بالعكس، الواجب أنك تتركهم لأن هذا يتجه ناحية الفتنة أنت إيمانك هنا يقل.

فالإنسان يحتاج أن يكون لديه صدق، الصدق ينجي في قضايا كثيرة، أنت تريد أن تصل إلى ماذا؟ {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } لا تريد شيئًا آخرًا، { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا }[القصص:٨٣] هذا الطلب، طلب العلو وطلب الانتصار ونحن أعلى منكم وأنا شيخي لا أدري ماذا، لا إنسى هذا الكلام.

ودائمًا أحب شرح حديث (ما ذئبان جائعان)[٦] للإمام ابن رجب عليه رحمة الله، هذه من الأحاديث التي يفضل لطالب العلم أن يقرأها كل فترة حتى يجدد نيته. ما هي نيته في طلب العلم أو في الدعوة؟ ما نيتك في الإصلاح؟ فالنية تفسد.

يا جماعة هناك شيء اسمه شيطان كما سيأتي لنا إن شاء الله –إن منّ ربنا علينا وأكملنا– سيأتي لنا في قصة طلب العلم مع سيدنا موسى الشيطان، هناك شيطان فأنت متصور الشيطان سيتركك ولا يفسد عليك نيتك؟ لا يضع لك عقبات ويضع لك فتن ويضع لك أناس تصرفك عن الطريق وتفسد عليك نيتك، وتجعل نيتك الصراع والانتصار، اجعل نيتك {يريدون وجهه} لا تجعل الشيطان يصرفك عن هذه النية.

٦ [عن كعب بن مالك:] ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ، لدِينه
الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٣٧٦ • حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٧٩٤) •

إذًا الآية أن هناك أناس يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا وجدتهم تمسك بهم، لكن هم دمهم ليس خفيفًا، {اصبر نفسك} ولكنني يعرض عليّ فتن، {اصبر نفسك} ، حاول أن تربط نفسك،

صفات ومعايير من تصبر معهم

{اصبر نفسك مع الذين...}، لذلك اسم الموصول هنا جاء للتعريف بأوصافهم وليس بأشخاصهم، الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، **طول العبادة**.

ابن عطية أدخل هنا معنى جميل جدًا قال ويدخل في ذلك طلب العلم، يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك يدخل فيه الدعوة إلى الله، يدخل فيه أعمال الصلاح، الناس الذين عندما تقترب منهم إيمانك يزيد، تبعد عن الفتن، تعمل أعمالًا صالحة، تذكر الله -سبحانه وتعالى-، تشعر أنك أكثر استعدادًا للموت، تشتاق للدار الآخرة، هؤلاء تمكث معهم مباشرة، لكن أنت تواجه فتن وخلافات والحياة كلها مشاكل لا، الله -سبحانه وتعالى- إذا أراد بقوم شرًا أعطاهم الجدل وصرف عنهم العمل[٧] والعياذ بالله.

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } حسنًا، أليس كان كافيًا {واصبر نفسك} فقط؟، ولكن ليس فقط {واصبر نفسك} بل {ولا تعد عيناك عنهم} هذه الآية مليئة بالأمر بأنه يثبت معهم، العلماء هنا عندما وقفوا مع هذه الآية قالوا ما موقع الآية هنا؟ هل سنربطها بالمعاني الموجودة في قصة أصحاب الكهف؟ أم نرى سبب النزول؟

وهذا مما يثري تنوع النظرة، عندما ننظر إلى سبب النزول وننظر إلى السياق، هذا يثري المعنى القرآني.

الذين نظروا إلى سبب النزول قالوا معنى جميل جدًا، قالوا أنه عندما ذهبت قريش للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقالوا له أخبرنا قصة أصحاب الكهف ما هؤلاء؟ ما موضوع أن هناك أحد سافر وذو القرنين أخبرنا عنهم. فعندما أخبرهم النبي بقصة أصحاب الكهف كان يتوقع منهم أن يسلموا.

فهناك أناس تأتي وتقول أخبرني ما الدليل على كذا؟ تقول له كذا، هو في الأصل لا يأتي كي يسلم، بمعنى أنهم { حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ }[الأنعام:٢٥] هو يأتي ليجادل. فعندما طلبوا، أخبرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بقصة أصحاب الكهف، قالوا لقد اقنعتنا لكننا لن نجلس وسط هؤلاء الناس

٧ يقول الإمام الأوزاعي - رحمة الله عليه - (إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل و منعهم العمل)

والله، اطرد هؤلاء الناس، هؤلاء الناس والفقراء كيف نقعد معاهم؟ هيبتي لا تسمح لي أن أجلس مع هؤلاء، اطرد لنا هؤلاء.[٨]

فقالوا أن هذا ربْط بين قصة أصحاب الكهف، أنه لما أفحمهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وقرأ عليهم قصة أصحاب الكهف ولم يجدوا فيها مطعنًا، فهو يظل يبحث عن أي شيء، يقول ولكن المكان ليس مكيفًا، هناك أحد يتحجج كي يتهرب، قالوا والله اطرد هؤلاء، -انتبه واربط السورة ببعضها- ففي أول السورة {فلعلك باخع نفسك} ربنا كان يحذره أنه كأنه سيقتل نفسه كي يسلموا، فهو يتمنى أن يسلموا.

تخيل لو أنا مثلًا عرض عليّ -فرضًا أنني داعية ربنا يستعملنا- شخص طيب غلبان فقير مسكين وأتى يقول لي علمني وكذا وبعض المعلومات الصغيرة التي عندك أخبرني بها، حاضر، وأمامي صاحب منصب عظيم لكنه مُعرض وهذا يظل يضع شروطًا وقواعدًا وهذا مقبل فأنت طبعًا إذا الاثنين مقبلين ننزل الناس منازلهم لكن هذا معرض، وتكلمت عن هذا في المعايير في سورة سبأ، هنا معنى المعايير لأنه انتبهوا سبحان الله القرآن مرتبط ببعضه، **أصحاب الكهف فهموا المعايير ليس بالزينة ليس بالفتنة.**

ربنا يعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- ويعلمنا أيضًا المعايير، كيف تختار؟ تختار هؤلاء أم هؤلاء؟ من الذي تهتم به؟ من الذي تقبل عليه؟

٨ [عن خباب بن الأرت:] في قولِهِ تعالى وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ والْعَشِيِّ... إلى قولِهِ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ قالَ جاءَ الأقرعُ بنُ حابِسٍ التَّمِيمِيُّ وعيينةُ بنُ حصنٍ الفزاريُّ فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ صُهيبٍ وبلالٍ وعمّارٍ وخبّابٍ قاعدًا في ناسٍ مِنَ الضُّعفاءِ مِنَ المؤمنينَ فلمّا رأوْهم حولَ النَّبيِّ ﷺ حقروهم فأتوْهُ فخلوا بِهِ وقالوا إنّا نريدُ أن تجعلَ لنا منْكَ مجلسًا تعرفُ لنا بِهِ العربُ فضلَنا فإنَّ وفودَ العربِ تأتيكَ فنستَحيي أن ترانا العربُ معَ هذِهِ الأعبُدِ فإذا نحنُ جئناكَ فأقِمْهم عنْكَ فإذا نحنُ فرغنا فاقعد معَهم إن شئتَ قالَ نعَم قالوا فاكْتُب لنا عليْكَ كتابًا قالَ فدعا بصحيفةٍ ودعا عليًّا ليَكتبَ ونحنُ قعودٌ في ناحيةٍ فنزلَ جبرائيلُ عليْهِ السَّلامُ فقالَ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّالِمِينَ ثمَّ ذَكَرَ الأقرعَ بنَ حابِسٍ وعيينةَ بنَ حصنٍ فقالَ وَكَذَلِكَ فَتَنّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ ثمَّ قالَ وَإِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ قالَ فدنَونا منْهُ حتّى وضعنا رُكبنا على رُكبتِهِ وَكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يجلسُ معَنا فإذا أرادَ أن يقومَ قامَ وتركَنا فأنزلَ اللَّهُ واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ ولا تجالسِ الأشرافَ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا يعني عيينةَ والأقرعَ واتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطًا قالَ هلاكًا قالَ أمرُ عيينةَ والأقرعِ ثمَّ ضربَ لَهم مثلَ الرَّجلينِ ومثلَ الحياةِ الدُّنيا قالَ خبّابٌ فكنّا نقعدُ معَ النَّبيِّ فإذا بلغنا السّاعةَ الَّتي يقومُ فيها قُمنا وتركْناهُ حتّى يقومَ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح ابن ماجه ٣٣٤٦ • صحيح •

زينة الحياة الدنيا

كانت هناك خطبة بعنوان "فالصو" كنت ألقيتها اسمها "معايير زائفة"، أننا أحيانًا ننبهر بمعايير زائفة فأنت تقبل على المنصب، فربنا يقول له هل تريد أن تترك هؤلاء، تريد زينة الحياة الدنيا؟ هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يريد شيئًا من الدنيا؟ لا، بل كان أكثر الناس إعراضًا عن الدنيا، قال (ما لي وللدنيا)[٩].

ولكن ما معنى "تريد" في حق النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ نعم في حقنا نحن نريد زينة الدنيا، نعم قد تقول نعم سأترك زينة الدنيا، لكن ما أن يعرض عليك شيئًا بسيطًا جدًا -نسأل الله السلامة والعافية- يمكن للإنسان أن يفتن، الإنسان لابد أن يتعلم أن التعلق بالله، (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[١٠]، (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)[١١].

لكن ما معنى "تريد زينة الحياة الدنيا" في حق النبي -صلى الله عليه وسلم-؟

أي تريدها لنصرة الدين، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول هؤلاء لو أسلموا، هم يقولون ذلك أن خلفهم ناس، إنما هذا فقير معدم ماذا خلفه؟ فقد يفكر الإنسان ماذا إذا طردت هؤلاء؟

أنا أحيانًا أفكر والله أنا يمكنني أن أتفق معهم، حسنًا أنا سأطردكم وآخذ هؤلاء، لكن لا الإيمان يكون واضحًا.

المعايير الزائفة وتصحيحها

---

٩ [عن عبدالله بن عباس:] دخَل عمرُ بنُ الخطّابِ على النَّبيِّ ﷺ وهو على حصيرٍ قد أثَّر في جنبِه فقال: يا رسولَ اللهِ لو اتَّخَذْتَ فراشًا أوثَرَ مِن هذا؟ فقال: (يا عُمرُ ما لي وللدُّنيا وما للدُّنيا ولي والَّذي نفسي بيدِه ما مَثَلي ومَثَلُ الدُّنيا إلّا كراكبٍ سار في يومٍ صائفٍ فاستظلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً مِن نهارٍ ثمَّ راح وتركَها) /ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٦٣٥٢ • أخرجه في صحيحه •

١٠ [عن أم سلمة أم المؤمنين:] كانَ أكْثرُ دعائِهِ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ قالَت فقُلتُ يا رسولَ اللَّهِ ما أكْثرَ دعاءِكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قَلبي على دينِكَ قال يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ لَيسَ آدميٌّ إلّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ فمَن شاءَ أقامَ ومن شاءَ أزاغَ فتلا معاذٌ ربَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا /الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣٥٢٢ • حسن • أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) واللفظ له، وأحمد (٢٦٦٧٩)

١١ [عن سهل بن سعد الساعدي:] كُنَّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ في الخَنْدَقِ، وهو يَحْفِرُ ونَحْنُ نَنْقُلُ التُّرابَ، ويَمُرُّ بنا، فَقالَ: اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فاغْفِرْ لِلْأَنْصارِ والمُهاجِرَهْ تابَعَهُ سَهْلُ بنُ سَعْدٍ، عَنِ النبيِّ ﷺ مِثْلَهُ. /البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٤١٤ • [صحيح] • [عن أنس بن مالك:] «لا عَيْشَ إلّا عَيْشُ الآخِرَةِ، فأصْلِحِ الأنْصارَ، والمُهاجِرَةَ» وعَنْ قَتادَةَ، عن أنَسٍ، عَنِ النبيِّ ﷺ مِثْلَهُ، وقالَ: «فاغْفِرْ لِلْأنْصارِ». /البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٧٩٥ • [صحيح]

هناك معايير يا جماعة يجب أن تبقى واضحة، هؤلاء السابقون، هؤلاء المقدمون، هؤلاء بذلوا، هؤلاء هم السابقون، الأثر المشهور أظن أنه عندما أبو سفيان أظن وسهيل بن عمرو كانوا جاءوا على باب عمر فيما أذكر ولكن قد أكون أخطأت في الأسماء، ولكن استأذن أبو سفيان وسيدنا عمر لم يأذن له، استأذن سهيل فلم يأذن له، فجاء خباب فأذن له وجاء سلمان فأذن له، لست أتذكر من غضب، أظن أنه سهيل، كيف هذا ونحن سادة قريش؟ كيف يوقفنا ويدخل هؤلاء؟ وكان سيدنا عمر خليفة فقال أبو سفيان فيما أذكر أنه هو القائل: هؤلاء دُعوا فأجابوا ونحن أبطأنا هؤلاء سابقون.[١٢]

نعم هناك شيء اسمه السابقون الأولون هؤلاء سبقوا، فلن أطرد هؤلاء، هناك معايير للتقديم مثل من يقف خلف الإمام، هناك معايير ثابتة، القضية ليست أن فلان له منصب أو فلان وزير، القضية أن هناك معايير عند الله -سبحانه وتعالى- (ولكنك عند الله لست بكاسد)[١٣]،

ولكن ما معنى { خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ } [الواقعة:٣]؟ أن هذه المعايير الزائفة ستظهر على حقيقتها يوم القيامة، فنهاه الله -سبحانه وتعالى-.

فإذا جلست تفكر أن الواحد منا يخطئ أخطاء أكثر من ذلك بكثير في معاييره وتقييماته للناس، أنه مجرد أنك لا تطرد هؤلاء وتبقي هؤلاء، هم فقط يريدون أن يجلسوا لوحدهم، هذا كل مطلبهم.

لذلك في بعض الروايات في صحيح مسلم، في رواية سعد بن أبي وقاص قال (فوقع في نفس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما شاء الله أن يقع)[١٤]، جلس يفكر -صلى الله عليه وسلم- عندما جاء ليقولوا اطرد هؤلاء، انتبه فهذا سيكون المعيار بعد ذلك، أنت تورث ذلك، هذا سيصبح تشريعًا.

---

١٢ وروى ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن الحسن قال: حضر جماعة من الناس باب عمر رضي الله تعالى عنه وفيهم سهيل بن عمرو القرشي وكان أحد الأشراف في الجاهلية وأبو سفيان بن حرب وأولئك المشايخ من قريش فأذن لصهيب وبلال وأهل بدر وكان يحبهم وكان قد أوصى لهم فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل: وكان أعقلهم أيها القوم أني والله قد / أرى الذي في وجوهكم فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دعي القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه. وفي «الكشاف» أنه قال «إنما أتينا من قبلنا أنهم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتوهم على باب عمر لما أعد الله تعالى لهم في الجنة أكبر.

١٣ [عن أنس بن مالك:] أنَّ رجُلًا مِن أهلِ البادية يُقالُ له: زاهرُ بنُ حرامٍ كان يُهدي إلى النَّبيِّ ﷺ الهديَّةَ فيُجهِّزُه رسولُ اللهِ ﷺ إذا أراد أنْ يخرُجَ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (إنَّ زاهرًا بادِينا ونحنُ حاضِروه) قال: فأتاه النَّبيُّ ﷺ وهو يبيعُ متاعَه فاحتضَنه مِن خلْفِه والرَّجُلُ لا يُبصِرُه فقال: أرسِلْني، مَن هذا؟ فالتفَت إليه فلمّا عرَف أنَّه النَّبيُّ ﷺ جعَل يُلزِقُ ظهرَه بصدرِه فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَن يشتري هذا العبدَ)؟ فقال زاهرٌ: تجِدُني يا رسولَ اللهِ كاسدًا قال: (لكنَّك عندَ اللهِ لَسْتَ بكاسدٍ) أو قال ﷺ: (بل أنتَ عندَ اللهِ غالٍ)
ابن حبان (ت ٣٥٤)، صحيح ابن حبان ٥٧٩٠ • أخرجه في صحيحه

فرفض النبي –صلى الله عليه وسلم– ونزل الوحي {لا تطرد} في سورة الأنعام وهنا لَيس فقط لا تطرد بل {ولا تعد عيناك عنهم} لا تتركهم، فهناك معايير غائبة، قال –صلى الله عليه وسلم– (إنما تنصرون بضعفائكم)[١٥] الضعيف هذا الذي تستضعفه في الصف وتقول هو لا يعرف شيئًا ومعدم، هذا يمكن أن يرفع إصبعه للسماء ويدعو فيستجاب له (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب)[١٦].

النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما مر رجل وقال ما تقولون في هذا؟[١٧] قالوا هذا يتقدم لأي أحد ونفتح له الباب في الحال، لو قال أي كلمة، سنقوم بعمل إعجاب "like" ونشر"share" في الحال، حري إذا تكلم أن يسمع وإذا خطب أن ينكح، ثم دخل شخص فقير فقال ماذا تقولون في هذا؟ فقالوا لا لن يقبل أحد أن يتزوجه ولن يسمعه أحد إذا تحدث، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: لهذا –أي الفقير– خير من ملء الأرض مثل هذا، تصحيح المعايير، هذا لا يقدمه إلا الوحي.

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ

فقال الله –سبحانه وتعالى– { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } حتى لو كانوا فقراء { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } تعد أي لا تترك عينك تتجاوز، **وجهة العين يعقبها وجهة الجسد يعقبها وجهة القلب، الإنسان بأكمله متكامل.**

القرآن يخاطب الإنسان ككل، طول النظر لشيء { لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ }[الحجر:٨٨ ، طه:١٣١] وكأن عيناك أنت تمدها بزينة الحياة الدنيا، لذلك يروى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا رأى شيئًا أعجبه قال (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة)، يمنع مد العين، يقطع ذلك، أنك عندما تنظر إلى شيء تقول هذا جميل جدًا، هذه العين ثم الجسد ثم القلب.

---

١٤ [عن سعد بن أبي وقاص:] كُنَّا مع النبيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقالَ المُشْرِكُونَ للنبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلاءِ لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنا. قالَ وَكُنْتُ أَنا وابنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِن هُذَيْلٍ، وَبِلالٌ، وَرَجُلانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِما، فَوَقَعَ في نَفْسِ رَسولِ اللهِ ﷺ ما شاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: ٥٢]. /مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٤١٣ • [صحيح]

١٥ [عن مصعب بن سعد:] إنما تُنصَرُ هذه الأمةُ بضُعفائِها بدعوتِهم وصلاتِهم وإخلاصِهم /الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترغيب ٣٢٠٥ • صحيح

١٦ رُبَّ أشعثَ أغبر ذي طمرين، مدفوعٍ بالأبوابِ لو أقسمَ على اللَّهِ لأبرَّه/ابن رجب (ت ٧٩٥)، جامع العلوم والحكم ٢٦٩/١ • مشهور

١٧ [عن سهل بن سعد الساعدي:] مَرَّ رَجُلٌ على رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ يُسْتَمَعَ، قالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِن فُقَراءِ المُسْلِمِينَ، فَقالَ: ما تَقُولونَ في هذا؟ قالوا: حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْتَمَعَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا./ البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٠٩١ • [صحيح] •

هناك أناس مبادئها تغيرت بسبب جلوسهم بعيدًا عن {الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي} جلسوا مع فاسدين، جلسوا مع ظالمين، فتغيروا، مفاهيمه ومصطلحاته تغيرت، عندما يترك الإنسان نفسه ويجلس فترة طويلة بعيدًا عن أهل الدين وأهل الدعاء وأهل الدعوة، قلبه يتغير، مصطلحاته تتغير، همومك تتغير، تعود مهمومًا.

أنت بإمكانك الجلوس مع أناس وتقول أنا مهموم لأن هناك أناسًا بعيدين عن الإسلام، هناك كم مليار كافر، كيف ندعو شباب المسلمين؟ هذه هموم، وتجلس مع أناس آخرين وتفاجأ أن همومك تغيرت كحامل المسك ونافخ الكير[١٨]، الهموم قد تتغير مثل تغير الروائح وأنت لا تشعر، إياك {لا تعد عيناك عنهم}.

قد يقول لك أحدهم لقد وجدت أنني قد تغيرت، نعم أنت تغيرت، لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– لماذا نهي عن أننا نمكث في ديار الكفر؟ قال لا تراءى ناراهما[١٩]، لأنك ستتغير **لذلك الذي يبتلى بذلك لابد أن يبحث عن بيئة مؤمنة ينغمس فيها** {واصبر نفسك مع الذين} مع مجموعة، الشخص بمفرده ليس كافيًا {مع الذين يدعون} فعل مضارع مستمر {ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم} **مجرد أن تنزع عينك عن بيئة الإيمان فترة، ستجد أنك ستتغير، ستجد أن همومك ومصطلحاتك تغيرت، ووجهتك في الحياة تغيرت.**

وبعد أن تتغير وجهتك في الحياة وهذا تحدثت عنده في درس "القرار الثاني" أن ما يحدث هو أنك –هذا جزء تربوي دعونا نقوله– تضع أعمدة من الأسمنت، فلا تقدر على الرجوع، فبعد أن ابتعدت وتريد أن تعود، تقول الأبناء والقرض والقسط، ولا تستطيع العودة، فلقد أصبحت أعمدة من الأسمنت، فلذلك من البداية {ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا}.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– في حقه كان يريدها لنصرة الدين، ولكن هنا يوجد معايير أولوية، ولذلك كما قلت لك لو كلاهما مقبلان فهذه قضية أخرى، **أما في حقنا فنحذر من فتنة الحياة الدنيا.**

---

١٨ [عن أبي موسى الأشعري:] مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والسَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٥٣٤ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) •

١٩ [عن جرير بن عبدالله:] أنا بريءٌ من [كلِّ] مسلمٍ [يُقيمُ] بين أظهُرِ المشركينَ، لا تَراءى نارُها
الألباني (ت ١٤٢٠)، إرواء الغليل ١٢٠٧ • صحيح •

انتبه هناك من يدفعك

{ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ } إذًا انتبه ليس فقط بداخلك دوافع للدينا ولكن هناك غيرك يدفعك، فالإنسان يبتلى من داخله فكلنا نحب الدنيا، من الطبيعي أنني أحب الدنيا، أحب زينة الحياة الدنيا، لماذا اسمها زينة؟ لأنها تزين للإنسان كي يحبها، فالإنسان حبب إليه ذلك، هذا من الداخل.

ومن الخارج هناك أحد يدفعك، يوسوس لك، الوسوسة الصوت الخفيف -كما ذكرنا في شرح سورة الناس- . فربما يقول لك {ولا تطع} أي وكأنه يعطي أوامر، كأنه ينصحك، فيأتي أحدهم ويقول لك والله أنا لك ناصح أمين يا أخي، والله ما تفعله خطأ، أنت تمشي في طريق خطأ وتضيع عمرك هباء، وتضيع شبابك هباء.

من ابتعد عن الوحي يغفل قلبه

{ولا تطع من أغفلنا} انتبه من أغفلنا ماذا؟ {قلبه}، ما قبلها {واتل ما أوحي إليك} من يبتعد عن الوحي، قلبه يغفل، **من ابتعد عن الوحي يغفل قلبه، هذه قاعدة**. انتبه ليس يغفل عقله، فالمحرك (إن في الجسد مضغة)[٢٠] المحرك هو القلب وطالما أن القلب غافل، سيصبح معرضًا عن هذا الطريق

{ولا تطع من أغفلنا قلبه} وهذه عقوبة ... **لذلك المعتزلة هنا في قصة عقدية قالوا أغفلنا أي وجدناه غافلًا؛ ولكن هذا التفسير خاطئ فأغفلنا أي عاقبه الله بالغفلة، أغفلنا وستجدونها مكتوبة في كتب التفسير بشكل خاطئ لأنهم لديهم منحى عقدي معين، ولكن أضلهم الله -سبحانه وتعالى- لأنهم يستحقون ذلك.**

ف{أغفلنا قلبه عن ذكرنا} لو قلنا أن "ذكرنا" مرتبطة

- ب{واتل ما أوحي إليك}
- أو "ذكرنا" هم من {يريدون وجهه} أي يذكرون الله {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم}.

٢٠ [عن النعمان بن بشير:] الحَلالُ بَيِّنٌ، والحَرامُ بَيِّنٌ، وبيْنَهُما مُشَبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمَنِ اتَّقى المُشَبَّهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ، ومَن وقَعَ في الشُّبُهاتِ: كَراعٍ يَرْعى حَوْلَ الحِمى، يُوشِكُ أنْ يُواقِعَهُ، ألا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا إنَّ حِمى اللَّهِ في أرْضِهِ مَحارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ.
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٥٢ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)باختلاف يسير •

فإما ذكرنا في {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا} هو غفل عن ماذا؟

- إما عن الوحي
- وإما عن ذكر الصحبة الصالحة، الذكر الذي كانوا يقولونه،

فإما أنه ابتعد عن العبادات مع الصحبة الصالحة أو ابتعد عن مصدر النور لذا فمن الطبيعي أن يغفل، كيف يثبت؟

لذلك هناك مقطع مشهور بعنوان "القلب يقسو تلقائيًا" فكيف سيثبت؟ {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا}

حسنًا، أول ما يبتعد عن الوحي ويبتعد عن النور، ماذا سيحدث؟

{واتبع} انتبه ليس وتبع، وتكلف الاتباع، فالإنسان كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أصدق الأسماء حارث وهمام[٢١]، من الطبيعي أن الإنسان بداخله هموم ومن الطبيعي أن يحرث ويفعل أشياء.

فالإنسان لابد أن يعبد شيئًا، لابد أن يتجه باتجاه شيء كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)[٢٢] الذي لن يسير في هذا الاتجاه سيسير في ذلك الاتجاه.

نتيجة عدم اتباع الوحي واتباع الهوى بدلا منه

{واتبع هواه} من لم يتبع الوحي، سيتبع الهوى، وماذا سيحدث لمن يتبع الهوى؟ وما نتيجة المعرض عن الوحي عندما تنظر إليه؟ {وكان أمره فرطًا} الناتج النهائي للمبتعد عن الوحي {أمره فرطًا} أي أن حياته قد فرطت. ما معنى فرطًا؟

٢١ أحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ، وعبدُ الرَّحمنِ وأصدقُ الأسماءِ: حارثٌ وَهمّامٌ، وأقبحُها: حربٌ ومُرَّةُ
ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٤٣/٧ • صحيح •

٢٢ [عن أبي مالك الأشعري:] الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الميزانَ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٢٣ • [صحيح] •

بصراحة قيل فيه كلام كثير جميل، فقيل هلاكًا وقيل ضياعًا وقيل فسادًا وقيل صرفًا وقيل كبرًا، ولذلك من المعاني الجميلة، من معاني الفرط الإسراف والكبر والخيلاء.

قالوا كلمة جميلة جدًا أنه عندما ذهب هؤلاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- ليطرد هؤلاء قال لقد أفرط في مسألته، أي كيف يطلب أن يطرد هؤلاء؟ لقد أفرط في مسألته وأحب أن يرتفع عند الله بغير تقواه.

هناك أناس يحبون أن يرتفعوا عند الله وعند الناس بغير تقوى، يريد أن يكون مشهورًا بدون أعمال، يريد أن يصبح من المشاهير، يريد أن يكون من الأعلام وهو من الأقزام مثل اسم كتاب "أعلام وأقزام"، يريد أن يكون مشهورًا وهو مجرد لا شيء.

ففرطًا هو أنه يظن في نفسه شيئًا عظيمًا، يفرط في وصف نفسه أو في رؤيته لنفسه أو في الظلم أو في الكبر أو في التكبر وطرد الفقراء.

انتبه أننا لو نزعنا الوحي ونزعنا معايير الوحي، فمثلًا أنا صاحب منصب فسأقول اذهب من هنا أنا سأجلس، ستصبح غابة والبقاء فيها للأقوى، بمعنى **أن نزع الوحي عن الحياة سيحول الحياة لغابة**، سيطرد الفقراء { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ }[الماعون:١] فمجرد أن ينزع فكر الدار الآخرة ماذا يحدث؟ { فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ }[الماعون:٢] الدع كأنه دفع البهائم، يتعامل مع اليتيم كالأنعام - والعياذ بالله. أطلت عليكم كالعادة.

حسنًا { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } قلنا هذا عن الحياة بدون وحي.

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

آخر أمر من الأوامر قبل آيات الجنة والنار { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ } هنا التهيئة النفسية حدثت بالقصة والأوامر ثم في النهاية { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ }. {قل} أمر أنك تستعلم بالحق،

- إما الحق ما هو مذكور في قصة أصحاب الكهف أنك تقولها ولا تخف
- أو الحق أي عموم الوحى أو الدعوة الى الله
- أو الحق جاء من ربكم ولا يضره فقر فقير، لأن الآية التي قبلها مباشرة عن الفقراء.

{وَقُلِ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم} ليس من فقير أو من غني إنما هو من الله، **فمن ارتبط بالحق فقد عَلا وارتفع**، فالقضية ليست بالارتباط بالدنيا، {ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم} لا شأن له بغني أو بفقير.

- وقيل {الحق مِن رَّبِّكُم} لذلك: {فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر} أي أن الله –سبحانه وتعالى– جاء بهذا الحق فمن شاء الله له الإيمان فسيؤمن ومن شاء الله له الكفر فسيكفر فلن أضيع نفسي حسرات عليكم {فَلَعَلَّكَ بَٰخِع نَّفسَكَ}[الكهف:٦] فقيل من معاني هذه الآية: لا تضيع عمرك عليهم، قل الحق فقط ولا تنشغل بهم، {فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر}.
- وقيل هذه الآية بهذا المعنى فيها نوع من التصبير للنبي –صلى الله عليه وسلم– فلا تنشغل بهم.
- وقيل هي تهديد {فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر} ليست اختيار، لا بل هي تهديد لأن بعدها مباشرة {إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا}.

فقد يأتي من يقول أنه شيء عادي أن شخصًا مؤمنًا يريد أن يكفر فهذا شيء عادي ولا مشكلة فيه، إذا أراد أن يترك الإسلام ويكفر في أى وقت لا مشكلة ويستدل بالآية {فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر} ولكن الله يقول: {إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا}.

حسنًا قُلنا أن من معانى {ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم}: **فلا ينبغي أن يُنظر إلى ضعف أهله وفقرهم، بل يُعرف الحق بنفسه.**

{إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا} أختم بآيات الجنة والنار. وهنا أريد أن أشير لمعنى: حاولوا حينما تجدون آيات عن الجنة والنار ضمن سياق قصص أو ضمن سورة أنت تعرف أسباب نزولها أو وقت نزولها أو خلفية السورة في النزول -وركزوا في هاتين النقطتين حتى تصبح قاعدة تفيدنا- حاولوا قدر المستطاع -بدون تكلف-، ستجد مصطلحات داخل آيات الجنة والنار ترطب على المؤمنين وتلطف عليهم.

فمثلًا انظر {إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا} لماذا جاءت اللفظة هنا {أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا}؟ لماذا في وسط المصحف أتى إحاطة السرادق، فهذه اللفظة لم تأت إلا في هذا الموضع، سرادق أي: الحائط الكبير والجدار المحيط بهم، لماذا؟

لأنهم كما كانوا يحيطون بالمؤمنين ويحاصروهم ويمنعوهم لدرجة أنهم اضطروهم للذهاب للكهف، فالكافر سيُحاصر {إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ} أي المذكورين في القصة إبتداءً، ولغيرهم من الظالمين، فكما هناك حصار ونوع من التضييق على أهل الإيمان، سيحدث معهم نفس الأمر، الجزاء من جنس العمل.

بالضبط كما قال الله في ختام المطففيين نفس الختام: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضحَكُونَ}[المطففين:٢٩] ثم في النهاية {فَٱليَومَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلكُفَّارِ يَضحَكُونَ}[المطففين:٣٤] نفس الفعل.

فمما يهون على المؤمن أن الله -سبحانه وتعالى- يخبره بعاقبة عدوه، ولا مبدل لكلاماته -ليس كما قد يقول البعض ماذا إذا حدث تغيير- فيخبر الله -سبحانه وتعالى- المؤمن بعاقبة عدوه إن مات على الكفر.

لذا فدورنا هنا في الختام أن نلتقط في آيات الجنة والنار ما يتناسب مع سياق القصص.

فهنا السرادق أي مثلما كانوا يحيطون ومثلما كانوا يعذبوهم وأهل الإيمان يستغيثون، ألم يقولوا {إِنَّهُم إِن يَظهَرُوا عَلَيكُم يَرجُمُوكُم} تخيل أن يرجموا أحدًا ومهما يقول حرام عليك اتركني، لا يؤثر فيهم، فيوم القيامة هؤلاء الظالمون كما كان أهل الإيمان يستغيثون وهم لا يلتفتون إليهم، فإن يستغيث هؤلاء الظلمة

يوم القيامة ويطلبون الغوث {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ} وهنا هم لا يغاثوا ولكن جاء لفظ يغاث من باب التعبير بالمشاكلة وفيه نوع من السخرية والتهكم.

فهذا الظالم سيُفاجأ أنه سيغاث بماء كالمهل! هل تستطيع أن تتخيل؟ بصراحة هذه الآية مرعبة، ويكفي أن ترجع لتقرأ الآثار الموجودة في الطبري وابن كثير ففيها آثار كثيرة.

منها أنه يقال –ولك أن تتخيل– أن يكون الواحد من هؤلاء الظلمة ظمآنًا، وظل سنينًا يصرخ: ظمآن ظمآن، وينادي، وهذا مثل التهكم الذي كان يفعله أهل الباطل في الدنيا، فيُفعل معهم.

فينادي الكافر: يارب ظمآن، تخيل يتقطع من الظمأ وينادي حتى إذا جاء الماء أخيرًا فيفرح ويمسك الماء، فتكاد يده أن تحترق لأن الإناء من نار، فيتحمَّل لأنه ظمآن منذ سنين، فيقرب الماء من وجهه، فيسقط لحم وجهه –والعياذ بالله– لأنه بالأساس يخرج دخانًا! ويشرب!

فالذي يجعله يشرب، يجعلك تعي مدى الظمأ الذي كان فيه ومدى عذاب الظمأ الذي كان فيه، ويشرب! لحم وجهه يتساقط ومع ذلك يشرب.

من أين عرفنا أنه يشرب؟ إن بعض الأثار قالت أنه يشرب مثلما جاء في سورة محمد {وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ} [محمد:١٥] وفي سورة الحج تقطيع الأمعاء، فهو بعد أن يشرب الماء الذي كالمهل هذا سيقطع الأمعاء! هل تتخيل؟ لو ظللنا نأتي بمشهد شَربة كافر ظالم في الآخرة، مشهد شربة فقط، وكيف ظل ظمآنًا.. فالمشهد مرعب!

{وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ} هذه الآيات رحمة، كيف تكون رحمة؟ أن الكافر حين يراها، يخاف ويرجع ويتوقف، وهذا هو دورنا أن نبلغ هذه الآيات.

{وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ} قالوا الزيت المتعكر المغلي الذي بلغ أقصى درجات الحرارة فهو سيّء الرائحة، سيّء اللون، شديد الحرارة، كالمهل. ولذلك قال ربنا هنا {يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ}.

فما علاقة الماء بشوي الوجوه؟ قالوا أنه حين يقربه من وجهه {يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ}.

{بِئسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَت مُرتَفَقًا} أى ساءت جهنم مرتفقًا، {مُرتَفَقًا}: اختلف العلماء في معناها، وهي تأتي من رفقًا، قالوا "رفقًا" هل من المرفق؟ {وَسَآءَت مُرتَفَقًا} أنت حينما تتكئ على شيء، تتكئ على المرفق، وجاءت نفس الآيات أيضًا في أصحاب الكهف {وَإِذِ ٱعتَزَلتُمُوهُم وَمَا يَعبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأوُۥا إِلَى ٱلكَهفِ يَنشُر لَكُم رَبُّكُم مِّن رَّحمَتِهِۦ وَيُهَيِّئ لَكُم مِّن أَمرِكُم مِّرفَقًا} أي مكان تتكئون عليه، فهؤلاء ربنا حسّن لهم هذا المرفق، أما هنا {وَسَآءَت مُرتَفَقًا}.

- فقيل {مُرتَفَقًا} من الارتفاق والاتكاء.
- وقيل {مُرتَفَقًا} من الرفق، أي لا يوجد رفق في هذه الدار.
- وقيل من الرُفقة أي من الصُحبة. وهذا مروي عن مجاهد: قيل وساءت مجتمعًا.

الطبرى استنكر هذا المعنى وقال أن هذا غير موجود في اللغة، ورد عليه ابن عطية وغيره وقالوا: قد تكون من الرُفقة أي الاجتماع، وذكر ذلك النسفي المتقدم في كتابه "التيسير" وغيره ذكره أكثر من واحد قال: ساءت مرتفقا أي ساءت الرُفقة أي أسوأ رفقة ستجدها في جهنم: الشياطين والجن وشياطين الإنس والكافرين والملاعين... جميعهم موجودون في جهنم؛ {وَسَآءَت مُرتَفَقًا}.

وهكذا {وَسَآءَت مُرتَفَقًا} أي مكان ليس فيه ارتفاق، ليس فيه رفق، ليس فيه صحبة -والعياذ بالله.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

وهكذا فأنت تحتاج مكانًا يكون عكس ذلك تمامًا في الجنة وعكسه في الدنيا، {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا} تأتي في الختام، فبماذا آمنوا؟

بالحق من ربكم {وَقُلِ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكُم} إن الذين آمنوا بهذا الحق، والإيمان ولَّد أعمالًا {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ}.

للأسف أنا أطلت وكنت أريد أن أشرح هنا جزءًا في الإعراب -يمكنكم مراجعته في كتاب أبو حيان في الإعراب- وهو لماذا كرر ربنا {إن} مرتين، {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ} لم يأتِ بعدها إنا لا نضيع أجرهم، فهذا هو المتوقع أن يكون الخبر، ولكن قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا} إن ثانية للتأكيد {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا} فلماذا التأكيد؟

المعنى الذي قلته لكم -إن شاء الله ربنا يذكرني به- {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا} أن أصحاب الكهف لو لم يجدهم أحد ولم يحيهم الله - وهذا حصل مع آخرين- فربما يحسب أحدهم أنه أضاع عمره، ولكن لا، الذي يحسن عملًا، حتى لو ابتلي، حتى لو مات، لن يضيع الله أجره.

إنا: نون العظمة والتأكيد: {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا} هذا معنى يجب أن يوضع في برواز في حياتك، **ما تقدمه للدين لن يضيع، إن كنت مخلصًا صادقًا متبعًا** {أَحسَنَ عَمَلًا}، لو هذا أحسن شيء وفيه الإخلاص وفيه الاتباع، فلن يضيع الله أجرك بإذن الله -سبحانه وتعالى- {إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا}. وقلنا {أَحسَنَ عَمَلًا} تختلف من شخص لشخص.

{أُولَٰٓئِكَ لَهُم جَنَّٰتُ عَدن} أي الذين آمنوا {لَهُم جَنَّٰتُ عَدن} من معاني العدن في اللغة: الإقامة والاستقرار، من مفرداتها كما قال الأصفهاني: المعدن الذي استقر في باطن الأرض.

ولكن ما المناسبة؟ أن أصحاب الكهف تركوا أرضهم وتركوا بلدهم، لذلك بعض المفسرين قال: كانت الكهف توطئة للهجرة، أي كانت سورة الكهف توطئة للهجرة، أن الصحابة أيضًا سيتركون أرضهم، فكأن الله يقول لهم: **كما تركتم أرضكم في الدنيا أعوضكم بدار إقامة واستقرار في الآخرة**. ولاحظ هنا لفظ عدن، وهذا اللفظ لم يأتي كثيرًا في القرآن.

وهكذا{جَنَّٰتُ عَدن} أي استقرار، و{تَجرِى مِن تَحتِهِمُ ٱلأَنهَٰرُ}، كما تذكر الروايات عندما تذكر وصف أصحاب الكهف أنهم كانوا يتحلون بالحلي والذهب وتركوا كل ذلك، كانوا من أغنياء الناس وتركوا كل ذلك وضحوا في سبيل الله.

فيقول لهم الله أنهم يوم القيامة {يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَب وَيَلبَسُونَ ثِيَابًا خُضرًا مِّن سُندُس وَإِستَبرَق} أي الغليظ والرقيق من الثياب {مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ} نفس الاتكاء الذي تركوه في الدنيا ورحلوا واتكئوا في الكهف، فربنا يجعل لهم متكأ في الجنة {مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ}

وهنا نجد الفرق بين بداية القصة وصعوبتها وخشونة الموقف ونرى في النهاية وهم قاعدون في الجنة {نِعمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَت مُرتَفَقًا} ومعنى مرتفقا هنا نفس الأقوال:

- إما متكأ،
- أو مرفقًا،
- أو مجتمعًا والرُفقة الحسنة؛ {وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا}[النساء:٦٩].

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجمعنا جميعا بمن نحب من أهلنا وعلمائنا وإخواننا في الجنة مع صحبة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وجزاكم الله خيرًا.